البرنامج العلمي للندوة والجولات الأثرية

وقد خصصت الجلسة العلمية الأولى (١٩/٩/١٩٨١) لأبحاث ما قبل التاريخ والطبوغرافيا وعلم الحياة ونشوء المدن، والجلسة العلمية الثانية (٢٠/٩/١٩٨١) للآثار والعهد القديم. أما الجلسة العلمية الثالثة فعقدت في اليوم نفسه، وخصصت للعلاقات الحضارية بين فلسطين وجاراتها. وخصصت الجلسات العلمية، الرابعة والخامسة والسادسة (٢١/٩/١٩٨١)، للآثار الكنعانية القديمة. والجلسة السابعة (٢٢/٩/١٩٨١) خصصت لأبحاث اللغة والنصوص والشواهد. وخصصت الجلسة العلمية الثامنة (٢٣/٩/١٩٨١) والجلستان العلميتان، التاسعة والعاشرة (٢٤/٩/١٩٨١)، للأبحاث العربية الاسلامية.

وصباح يوم ٢١/٩/١٩٨١، قام العلماء والباحثون المشاركون بالندوة بجولتين أثريتين الى مواقع أيبلا التاريخية، وقلعة سمعان وعين دارا. وفي نهايتهما، عرض فيلم سينمائي عن أيبلا على شاشة مدرج كلية الطب بحلب. وفي اليوم نفسه، افتتح طلال ناجي، عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، يرافقه الدكتور أسعد عربي درقاوي، وزير التعليم العالي السوري والدكتور محمد علي حورية، رئيس جامعة حلب، معرض الفنانين التشكيليين الفلسطينين الذي أقيم في صالة المعارض بكلية الآداب في جامعة حلب. وقد ضم المعرض ستين لوحة فنية وأكثر من مائة كتيب أدبي وسياسي.

وبشأن أبحاث ندوة الآثار، فإن الموضوعات الخاصة بالآثار وصلتها بالعهد القديم، كانت من أدق الدراسات المقدمة، وذلك لما خلفته بعض بعثات الاستكشاف والتنقيب والحفريات التي مارست نشاطها في الأرض الفلسطينية من مرارة تاريخية، نتيجة ربط تلك البعثات لنشاطاتها العلمية بالجمعيات التوراتية المؤيدة للنشاطات الاستيطانية الصهيونية والاستعمارية التي بدأت بالحفر والتنقيب وانتهت بالاحتلال ومحاولة التهويد المستمر للأرض والثقافة. ولكن الأفكار المسبقة والمفاهيم الخاطئة أصابها بعض التغيير والتعديل، نتيجة تقدم الدراسات العلمية الأثرية من جهة، ولموضوعية الباحثين النزيهين وغير المغرضين من جهة أخرى.

ففلسطين، لم تكن مهداً لليهودية ولا مستقراً لغزواتها البدائية. ولكنها، كما أثبت العلم وأدواته، احتوت، بما تضمه من آثار، على سلسلة متتابعة من الحضارات العربية الكنعانية والعراقية والمصرية القديمة، متوجة بالآثار الاسلامية الماثلة للعيان حتى الآن، شهوداً على صلة العرب غير المنقطعة بأرضهم الفلسطينية.

وردّ العالم، باولوماتييه، من جامعة روما بايطاليا ورئيس بعثة التنقيب في تل مرديخ عن آثار الحضارة الايبلاويّة، على مزاعم التوارتيين القائلة بوصولهم الى حيث تكتشف بعض الكلمات أو الكتابات المنسوبة اليهم، مفنداً دعواهم من خلال اثباته زيف ما يدعونه من أنهم أصل الحضارة أو الكتابة. فالمنهج التاريخي لدراسة ثقافة ايبلا والآثار الفلسطينية، يدلنا على أن اكتشاف ثقافة سورية مبكرة في ايبلا، خلال النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد، يغير بصورة جذرية تفسير تطور الحضارات في الشرق الأدنى منذ بداية الثقافة الحضرية الى نهاية العصر البرونزي الوسيط حوالي عام ١٦٠٠ ق. م. ومن المحتمل أن ثقافة سوريا الشمالية الحضرية تنحدر من ثقافة بلاد ما بين النهرين الجنوبية. ومن المؤكد أنها على صلة بثقافة أوروك التاريخية القديمة الواقعة الى الشمال في وادي الفرات الأعلى. ويجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار مشكلة العلاقات التي قامت بين سومر وفلسطين، خلال العصور التاريخية القديمة ومنذ كان سكان ايبلا من الساميين القدماء. وقد بلغت الثقافة السورية المبكرة ذروتها في ايبلا حوالي سنة ٢٣٠٠ ق. م، وبقيت الى العهد الرابع من العصر البرونزي القديم في مراكز أخرى في سوريا الشمالية، بعد أن دمر ملوك أكاد ايبلا.

وقد طبعت ثقافة سوريا الشمالية القديمة، بشكل كبير، جميع التطورات الثقافية في منطقة سوريا حتى العهد الروماني؛ ودلالة ذلك بالنسبة للعلاقة بين سوريا وفلسطين في ذلك العصر واضحة. فمنطقة